

رسالة
الْجَهَادُ بِالشَّرْعِ مُهَاجِرًا
والفرق بينها وبين
البدعية
تألیف

شیخ الاسلام تقی الدین احمد بن عبد الحلیم بن تهمیہ

«۶۲۱ - ۷۹۸»

خرچ اهاریشما
بدر بن عبد الله بدر

علق علیهم
محمد رشید رضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رسالة
الجبارات الشرعية

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى



(١) طبعت عن طبعة «مجموعة الرسائل والمسائل» بتعليق محمد رشيد
رضا .

الناشر
مَكَبَّةُ أَبْنَى الْجَوَزِيِّ
الاحساء - الدمام

هاتف : ٥٨٢٤٦٧٢ - ص. ب. ١٦٨٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

قال الشيخ الإمام العالم العلامة شيخ الإسلام ، بقية السلف الكرام ، العالم الرباني ، المقدوف في قلبه النور القرآني ، أبو العباس أحمد بن تيمية الحراني ، قدس الله روحه ، ونور ضريحه ، وأسكنه فسيح الجنان :

الحمد لله نستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعتذر بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا . مَنْ يَهْدِهُ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَّهُ ، وَمَنْ يَضْلِلُ فَلَا هَادِي لَهُ ، وَنَشَهِدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَنَشَهِدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً ، فَبَلَّغَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَّى الْأَمَانَةَ ، وَنَصَحَّ الْأُمَّةَ ، وَكَشَفَ الْغَمَّةَ ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ حَقِّ جَهَادِهِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ مُخْلِصاً حَتَّىٰ أَتَاهُ الْيَقِينَ مِنْ رَبِّهِ ، تَسْلِيْمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

فصل

في العبادات ، والفرق بين شرعها وبدعها . فإن هذا باب كثُر فيه الاضطراب كما كثُر في باب الحلال والحرام . فإن أقواماً استحلوا بعض ما حرمه الله ، وأقواماً حرّموا بعض ما أحل الله تعالى ، وكذلك أقواماً أحدثوا عبادات لم يشرعها الله بل نهى عنها . وأصل الدين أن الحلال ما أحله الله ورسوله ، والحرام ما حرم الله ورسوله ، والدين ما شرعه الله ورسوله ، ليس لأحدٍ أن يخرج عن الصراط المستقيم الذي بعث الله به رسوله . قال الله تعالى ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيًّا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاحُوكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام : ١٥٣] .

وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه خط خطأً وخط خطوطاً عن يمينه وشماله ثم قال « هذه سبيل الله وهذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعوك إليه » ثم قرأ ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيًّا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^(١)

(١) رواه الطيالسي (٢٤٤) وأحمد (٤١٤٢ ، ٤٤٣٧) والنسائي في الكبرى =

وقد ذكر الله تعالى في سورة الأنعام والأعراف وغيرها ما ذمّ به المشركين حيث حرّموا ما لم يحرّمه الله تعالى ، كالبّحيرة والسائلة^(٢) ، واستحلوا ما حرّمه الله كقتل أولادهم ، وشرعوا ديناً لم يأذن به الله ، فقال تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءٌ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذِنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ [الشورى : ٢١] ومنه أشياء هي محرمة جعلوها عبادات كالشرك والفواحش ، مثل الطواف بالبيت عراة وغير ذلك .

والكلام في الحلال والحرام له مواضع أخرى . والمقصود هنا العبادات فنقول :

العبادات التي يُتقرّب بها إلى الله تعالى منها ما كان محبوبًا لله ورسوله مرضيًّا لله ورسوله ، إما واجب وإما

= كها في تحفة الأشراف (٧ : ٤٩) وابن وضاح في البدع والنهى عنها (٧٤) وابن أبي عاصم في السنة (١٧) وابن نصر في السنة (١٤) .

وغيرهم وإسناده حسن .

(٢) قلت: البّحيرة هي الناقة التي يمنع درها للطواوغيت قلا يحملها أحد من من الناس . والسائلة هي الناقة التي كانوا يسيبونها لأهنتهم لا يحملونها عليها شيء . من تفسير ابن كثير (٣ : ٢٠٣) .

مستحب ، كما في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى : « ما تَقْرَبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِمَثَلِ أَدَاءٍ مَا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ ، وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقْرَبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ ، فَإِذَا أَحِبْتَهُ كُنْتُ سَمِعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ ، وَبَصَرُهُ الَّذِي يُبَصِّرُ بِهِ ، وَيَدُهُ الَّتِي يَبْطَشُ بِهَا ، وَرَجْلُهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا ، فَبِي يَسْمَعُ وَبِي يَبْصُرُ وَبِي يَبْطَشُ وَبِي يَمْشِي ، وَلَئِنْ سَأَلْتَنِي لِأَعْطِينَهُ ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأَعْيَذَنَهُ ، وَمَا تَرَدَّتْ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ قَبْضِ نَفْسِي عَبْدِي الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَكْرَهُ مَسَاعِتَهُ وَلَا بُدُّ لَهُ مِنْهُ » ^(٣) .

(٣) أخرجه البخاري (١١ : ٣٤٠ - ٣٤١) من حديث أبي هريرة ، وفيه : « ما تقرب إلى عبدي بشيء أحب ما افترضته عليه » . وفيه « استعاذ بي » بدلاً من « استعاذني » ودون قوله « قبض » ، ودون قوله : « لابد له منه » بل ورد هذا الشطر من قول وهب بن منبه موقعاً عليه ، أخرجه أبو نعيم (٤ : ٣٢) .

وللحديث شواهد كثيرة ، يراجع تخریجها في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤ : ١٨٣ - ١٩٣) .

وزيادة « فبِي يَسْمَعُ ، وَبِي يَبْصُرُ ، وَبِي يَبْطَشُ ، وَبِي يَمْشِي » ذكر الشيخ الألباني في المصدر السابق أنه لم يرها في جميع المصادر التي خرج الحديث منها ، ولم يعزها الحافظ ابن حجر في الفتح إلى أحد (١١ : ٣٤٤) إلا أنه نقلها عن الطوسي في كلام له .

ومعلوم أن الصلاة منها فرض ، وهي الصلوات الخمس ، ومنها نافلة كقيام الليل وكذلك الصيام فيه فرض ، وهو صوم شهر رمضان ، ومنه نافلة كصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وكذلك السفر إلى المسجد الحرام فرض ، وإلى المسجدين الآخرين : مسجد النبي ﷺ وبيت المقدس - مستحب .

وكذلك الصدقة منها ما هو فرض ومنها ما هو مستحب ، وهو العفو كما قال تعالى : « وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنِفِّقُونَ قُلِ الْعَفْوَ » [البقرة : ٢١٩] .

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « يا ابن آدم ، إنك إن تنفق الفضل خير لك ، وإن تمسكت بشر لك ، ولا تُلام على كفاف ، واليد العليا خير من اليد السفلية ، وابدأ بمن تعول »^(٤) والفرق بين الواجب والمستحب له موضع آخر غير هذا ، والمقصود هنا

(٤) أخرجه أحمد (٥: ٢٦٢) ومسلم (٢: ٧١٨) والترمذى (٢٣٤٣) والبيهقي (٤: ١٢٨) من حديث أبي أمامة .

وفيها : « أن تبذل » بدلًا من « أن تتفق » ، وقوله « ابدأ بمن تعول » قبل قوله « اليد العليا خير من اليد السفلية » .

الفرق بين ما هو مشروع سواء كان واجباً أو مستحبأً ،
وماليس بمشروع .

فالمشروع هو الذي يُقرب به إلى الله تعالى ، وهو
سبيل الله ، وهو البر والطاعة والحسنات والخير
والمعروف ، وهو طريق السالكين ، ومنهاج القاصدين
والعبدية ، وهو الذي يسلكه كُلُّ مَنْ أراد الله وسلك
طريق الزهد والعبادة ، وما يُسمى بالفقر والتصوف ونحو
ذلك .

ولا ريب أن هذا يدخل فيه الصلواتُ المنشورة
واجبها ومستحبها ، ويدخل في ذلك قيام الليل المشروع
وقراءة القرآن على الوجه المشروع ، والأذكار والدعوات
الشرعية ، وما كان من ذلك مؤقتاً بوقتٍ كطيف النهار ،
وما كان متعلقاً بسببٍ كتحية المسجد ، وسجود
التلاؤة ، وصلاة الكسوف ، وصلاة الاستخارة ، وما
ورد من الأذكار والأدعية في ذلك . وهذا يدخل فيه أمور
كثيرة ، وفي ذلك من الصفات ما يطول وصفه ، وكذلك
يدخل فيه الصيام الشرعي كصيام نصف الدهر وثلثه أو
عشره وهو صيام ثلاثة أيامٍ من كل شهر ، ويدخل فيه
السفر الشرعي ، كالسفر إلى مكة وإلى المسجدين

الآخرين ، ويدخل فيه الجهاد على اختلاف أنواعه ، وأكثر الأحاديث النبوية في الصلاة والجهاد ، ويدخل فيه قراءة القرآن على الوجه المشروع .

والعبادات الدينية أصولها الصلاة والصيام والقراءة التي جاء ذكرها في الصحيحين في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، لما أتاه النبي ﷺ وقال : « ألم أحدثك أنت قلت لأصومنَ النهار ، ولأقومَ الليل ، ولأقرأن في ثلث ؟ » قال : بلـي . قال « فلا تفعل ، فإنك إذا فعلت ذلك هجمت له العين ، ونفهـت له النفس »^(٥) ثم أمره بصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، فقال : إنـي أطـيق أكثر من ذلك ، فـانتهـى به إلى صوم يوم وفـطـر يوم ، فقال : إنـي أطـيق أكثر من ذلك ، فقال : « لا أـفضل من ذلك » وقال : « أـفضل الصيام صيام داود عليه السلام ، كان يصوم يوماً ويفـطـر يوماً ، ولا يـفرـ إذا لاقـى . وأـفضل الـقـيـام قـيـام دـاـود ، كان يـنـام اللـيل وـيـقـوم ثـلـثـة وـيـنـام سـدـسـه » وأـمـرـهـ أنـ يـقـرـأـ القرآنـ فيـ سـبـعـ^(٦) .

(٥) هـجمـتـ: أي غـارـتـ وـدـخـلتـ فيـ مـوـضـعـهاـ . وـنـفـهـتـ: أـعـيـتـ وـكـلـتـ .

(٦) لـعلـ المؤـلـفـ رـحـمـهـ اللهـ صـاغـهـ منـ عـدـةـ روـاـيـاتـ ، وـهـيـ فيـ أـمـدـ(٢: ١٨٩)

وـالـبـخـارـيـ (٣: ٣٨ـ، ٤ـ، ٢٢٤ـ: ٦ـ، ٤٥٣ــ٤٥٥ـ) وـمـسـلـمـ

(٢: ٢١٢ــ٨١٥ـ) وـالـنـسـائـيـ (٣: ٢١٥ــ٨١٨ـ) .

ولما كانت هذه العبادات هي المعروفة قال في حديث
الخوارج الذي في الصحيحين : « يحرق أحدكم صلاته
مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم ،
يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين
كما يمرق السهم من الرمية »^(٧) فذكر اجتهادهم بالصلوة
والصيام والقراءة ، وإنهم يغلون في ذلك حتى تحرر
الصحابة عبادتهم في جنب هؤلاء .

وهوئاء غلووا في العبادة فلا فقه فالأمر بهم إلى
البدعة فقال : « يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم
من الرمية . أينما وجدتموه فاقتلوهم ، فإن في قتلهم
أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيمة »^(٨) فإنهم قد استحلوا
دماء المسلمين وكفروا من خالفهم . وجاءت فيهم

(٧) أخرجه البخاري (٩٩:٩٩ ، ١٠٠:١٢ ، ٢٨٣) ومسلم (٢: ٧٤٣ - ٧٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري ، واللفظ من تصرف المؤلف .

والحديث متواتر ، وقد ذكر ألفاظه وطريقه الحافظ ابن كثير في البداية
والنهاية (٧: ٢٨٩ - ٣٠٥) .

(٨) أخرجه البخاري (١٢: ٢٨٣) ومسلم (٢: ٧٤٧) من حديث علي ابن أبي طالب .

الأحاديث الصحيحة . قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى : صَحَّ فِيهِمُ الْحَدِيثُ مِنْ عَشْرَةِ أُوْجَهٍ . وقد أخرجها مسلم في صحيحه وأخرج البخاري قطعةً منها .

ثم هذه الأجناس الثلاثة مشروعة^(٩) ولكن يبقى الكلام في القدر المشروع منها . وله صنف كتاب الاقتصاد في العبادة . وقال أبي بن كعب وغيره « اقتصاد في سنة ، خيرٌ من اجتهادٍ في بدعة »^(١٠) .

والكلام في سرد الصنوم وصيام الدهر سوى يومي العيد وأيام التشريق وقيام جميع الليل ، هل هو مستحب

(٩) أي الصلاة والصيام والقراءة .

(١٠) الذي ورد عن أبي هو : « اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في خلاف سنة » . أخرجه أحمد في الزهد (ص ١٩٦ - ١٩٧) وأبو نعيم (١ : ٢٥٢ - ٢٥٣) وابن الجوزي في التلبيس (ص ١٧) واسناده حسن . وورد ذلك عن ابن مسعود : أخرجه الدارمي (٢٢٣) وابن نصر في السنة (٩٢) واللالكائي (١٣ ، ١٤ ، ١١٤) وابن عبد البر في الجامع (٢ : ١٨٨) وغيرهم وإسناده صحيح . يراجع التعليق على مفتاح الجنة للسيوطى (٢٧٨) .

وورد من قول أبي الدرداء : أخرجه اللالكائي (١١٥) وإسناده حسن . وأخرجه ابن نصر (١٠٤) من طريق آخر وفيه جهالة .

- كما ذهب إلى ذلك طائفةٌ من الفقهاء والصوفية والعباد ، أو هو مكرور - كما دلت عليه السنة وإن كان جائزًا ؟ لكن صوم يوم وفطري يوم أفضل ، وقيام ثلث الليل أفضل ، ولبسطه موضع آخر .

إذ المقصود هنا الكلام في أجناس عبادات غير مشروعة حدثت في المتأخرین كالخلوات فإنها تشبه بالاعتكاف الشرعي . والاعتكاف الشرعي في المساجد كما كان النبي ﷺ يفعله هو وأصحابه من العبادات الشرعية .

وأما الخلوات فبعضهم يحتج فيها بتحثته⁽¹¹⁾ بغار حراء قبل الوحي وهذا خطأ ، فإنه ما فعله ﷺ قبل النبوة إن كان قد شرعه بعد النبوة فنحن مأمورون باتباعه فيه وإلا فلا . وهو من حين نبأه الله تعالى لم يصعد بعد ذلك إلى غار حراء ولا خلفاؤه الراشدون . وقد أقام صلوات

(11) التحثت للعبد ، وأصله التنرّه من الحنث وهو الإثم وزناً ومعنى كالتحرّج ، ويقرب منه التحّنف وأصل معناه الميل عن القبيح إلى الحسن ، والخنيفية ملة إبراهيم ، وانختلف في عبادة نبينا ﷺ في غار حراء قبل النبوة فقيل كانت تفكراً وقيل غير ذلك .

الله عليه بمكة قبل الهجرة بضع عشرة سنة ودخل مكة في
 عمرة القضاء وعام الفتح أقام بها قريباً من عشرين ليلة
 وأتاهما في حجة الوداع وأقام بها أربع ليال ، وغار حراء
 قريب منه ولم يقصده ، وذلك أن هذا كانوا يأتونه في
 الجاهلية ، ويقال أن عبدالمطلب هو سَنَّ لهم إتيانه لأنه
 لم تكن لهم هذه العبادات الشرعية التي جاء بها بعد
 النبوة صلوات الله عليه كالصلوة والاعتكاف في
 المساجد ، فهذه تُغْنِي عن إتيان حراء بخلاف ما كانوا
 عليه قبل نزول الوحي ، فإنه لم يكن يقرأ بل قال له
 الملك عليه السلام « اقرأ » قال صلوات الله عليه
 وسلامه : « فقلت : لست بقاريء »^(١١) ولا كانوا
 يعرفون هذه الصلاة . ولهذا لما صلحتها النبي صلوات الله عليه نهاد
 عنها من نهاد من المشركين كأبي جهل ، قال الله تعالى :
 « أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَا * عَبْدًا إِذَا صَلَّى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ
 عَلَى الْهُدَى * أَوْ أَمَرَ بِالْتَّقْوَى * أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ
 وَتَوَلَّى * أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى * كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَتَّهِ لَنْسَفَعَا

(١٢) لفظه عند البخاري : « ما أنا بقاريء ». أخرجه في صحيحه (١) :
 ٦ ، ٢٢ : ٤٢٢ ، ٧١٥ : ٨ ، ٣٥١ : ١٢ ،

بالناصِيَةِ * ناصِيَةٌ كاذِبَةٌ خاطِئَةٌ * فَلَيَدْعُ نادِيَهُ * سَنَدْعُ
الزَّبَانِيَةَ * كَلَّا لَا تُطْعِهُ وَاسْجُدْ وَاقْرَبْ ﴿ [العلق : ٩ - ١٩] .

وطائف يجعلون الخلوة أربعين يوماً ويعظمون أمر الأربعينية ويحتاجون فيها بأن الله تعالى واعد موسى عليه السلام ثلاثين ليلةً وأتمها عشر ، وقد روي أن موسى عليه السلام صامها وصام المسيح أيضاً أربعين الله تعالى وخطب بعدها . فيقولون : يحصل بعدها الخطاب والتنزل كما يقولون في غار حراء حصل بعده نزول الوحي .

وهذا أيضاً غلط فإن هذه ليست من شريعة محمد ﷺ بل شرعت لموسى عليه السلام كما شرع له السبت وال المسلمين لا يسبتون ، وكما حرم في شرعه أشياء لم تُحرم في شرع محمد ﷺ فهذا تمسك بشرع منسوخ ، وذاك تمسك بما كان قبل النبوة .

وقد جُرِّبَ أنْ مَنْ سَلَكَ هَذِهِ الْعِبَادَاتِ الْبَدُعِيَّةَ أَتَهُ الشَّيَاطِينُ وَحَصَّلَ لَهُ تَنْزِلُ شَيْطَانِيَّ ، وَخَطَابُ شَيْطَانِيَّ ، وَبَعْضُهُمْ يَطِيرُ بِهِ شَيْطَانِهِ ، وَأَعْرِفُ مِنْ هُؤُلَاءِ عَدَدًا طَلَبُوا

أن يحصل لهم من جنس ما حصل للأنبياء من التنزل ، فنزلت عليهم الشياطين لأنهم خرجنوا عن شريعة النبي ﷺ التي أمروا بها . قال تعالى : « ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعُوهَا وَلَا تَتَّبِعُ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنِوا عَنْكُمْ مِّنَ اللَّهِ شَيْئاً وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أُولَاءِ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ » [الجاثية : ١٨ - ١٩] وكثيرٌ منهم لا يحد للخلوة مكاناً ولا زماناً بل يأمر الإنسان أن يخلو في الجملة .

ثم صار أصحاب الخلوات فيهم من يتمسك بجنس العبادات الشرعية : الصلاة والصيام والقراءة والذكر . وأكثرهم يخرجون إلى أجناس غير مشروعة ، فمن ذلك طريقة أبي حامد ومن تبعه ، وهؤلاء يأمرون صاحب الخلوة أن لا يزيد على الفرض ، لا قراءةً ولا نظراً في حديث نبوي ولا غير ذلك ، بل قد يأمرون بالذكر ، ثم يقولون ما ي قوله أبو حامد : ذكر العامة : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وذكر الخاصة : اللَّهُ اللَّهُ ، وذكر خاصة الخاصة : هو هو .

والذكر بالاسم المفرد مظهراً ومضمراً بدعة في الشرع وخطأ في القول واللغة ، فإن الاسم المجرد ليس هو

كلاماً لا إيماناً ولا كفراً .

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : «أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر»^(١٣) . وفي حديث آخر : «أفضل الذكر لا إله إلا الله»^(١٤) وقال : «أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلني : «لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير»^(١٥) والأحاديث في فضل هذه الكلمات كثيرة صحيحة .

(١٣) ورد من حديث سمرة بن جندب ، ولفظه : «أربع من أطيب الكلام ، وهن من القرآن ، لا يضرك بأيin بدأ : سبحان الله .. الحديث» . أخرجه أحاد (٥: ١١) وإسناده صحيح .

وأخرجه مسلم (٣: ١٦٨٥) من حديث سمرة كذلك مرفوعاً : «أحب الكلام إلى الله أربع : سبحان الله .. الحديث» .

(١٤) أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة (٨٣١) والترمذى (٣٣٨٣) وحسنه وابن ماجه (٣٨٠٠) وغيرهم من حديث جابر بن عبد الله . وإسناده حسن . ويراجع تخرجه مطولاً في التعليق على الشكر لابن أبي الدنيا (١٠٣) .

(١٥) أخرجه مالك في الموطأ (٢: ٣٨) من حديث طلحة بن عبيد الله بن =

وأما ذكر الاسم المفرد فبدعة لم يُشرع وليس هو بكلامٍ يعقل ولا فيه إيمان ، ولهذا صار بعض من يأمر به من المتأخرین يیین أنه ليس قصدنا ذكر الله تعالى ، ولكن جمع القلب على شيء معین حتى تستعد النفس لما يرد عليها ، فكان يأمر مریده بأن يقول هذا الاسم مرات ، فإذا اجتمع قلبه ألقى عليه حالاً شیطانياً فيلبسه الشیطان ويخیل إليه أنه قد صار في الملا الأعلى ، وأنه أُعطي ما لم يعطه محمد ﷺ ليلة المراجـ ولا موسى عليه السلام يوم الطور ، وهذا وأشباهه وقع لبعض من كان في زماننا .

وأبلغ من ذلك مَنْ يقول ليس مقصودنا إلا جمع النفس بأي شيء كان ، حتى يقول لا فرق بين قولك يا حي وقولك يا جحش . وهذا مما قاله لي شخصٌ منهم وأنكرت ذلك عليه ، ومقصودهم بذلك أن تجتمع النفس حتى يتنزل فيها الشیطان .

= كریز مرسلًا دون قوله: «لـهـ الـلـكـ .. إـلـىـ آـخـرـهـ» ، والحادیث وان كان فيه إرسال فله شواهد أخرى تقویه منها بزيادة الشطر الذي لم يروه مالک ، تراجع مع الكلام عليها في سلسلة الأحادیث الصحیحة (٤) :

.(٨ - ٦

ومنهم من يقول : إذا كان قصد وقصد ومقصود
فاجعل الجميع واحداً فيدخله في أول الأمر في وحدة
الوجود .

وأما أبو حامد وأمثاله^(١٦) من أمروا بهذه الطريقة فلم
يكونوا يظنون أنها تُفضي إلى الكفر ، لكن ينبغي أن
يُعرف أن البدع بريد الكفر ، ولكن أمروا المريد أن يُفرغ
قلبه من كل شيء ، حتى قد يأمروه أن يقعد في مكان
مظلم ويُعطي رأسه ويقول : الله الله ، وهم يعتقدون أنه
إذا فرغ قلبه استعد بذلك فينزل على قلبه من المعرفة
ما هو المطلوب بل قد يقولون : أنه يحصل له من جنس
ما يحصل للأنبياء .

ومنهم من يزعم أنه حصل له أكثر مما حصل
للأنبياء ، وأبو حامد يُكثر من مدح هذه الطريقة في
الأحياء وغيره^(١٧) كما أنه يبالغ في مدح الزهد ، وهذا

(١٦) يعني بأمثاله من سلكوا طريقة التصوف بعد التفقه في الدين ، وقلما
تُفضي بأمثالهم إلى الكفر إلا إذا اختلت عقولهم بالأفراط في التفشك
والاستسلام للتخيّلات .

(١٧) ولكنه لم يزعم أنه حصل له أكثر مما حصل للأنبياء ولا مثله بل هو =

من بقايا الفلسفة عليه . فإن المتكلفة كابن سينا وأمثاله يزعمون أن كل ما يحصل في القلوب من العلم للأنبياء وغيرهم فإنما هو من العقل الفعال . ولهذا يقولون النبوة مكتسبة فإذا تفرغ صفي قلبه عندهم ففاض على قلبه من جنس ما ففاض على الأنبياء وعندهم أن موسى بن عمران ﷺ كلام من سماء عقله لم يسمع الكلام من خارج ، فلهذا يقولون إنه يحصل لهم مثل ما حصل لموسى وأعظم مما حصل لموسى .

وأبو حامد يقول إنه سمع الخطاب كما سمعه موسى عليه السلام وإن لم يقصد هو بالخطاب ، وهذا كله لنقص إيمانهم بالرسل وأنهم آمنوا ببعض ما جاءت به الرسل وكفروا ببعض ، وهذا الذي قالوه باطل من وجوه :

أحدها : أن هذا الذي يسمونه العقل الفعال باطل لا حقيقة له كما قد بسط هذا في موضع آخر .

مثلاً الشافعي على نفسه ويفضل الصحابة على الشافعي ، بل ^{بَيْنَ} غرور بعض الصوفية وضلالهم في ذلك في كتاب « ذم الغرور » من الأحياء .

الثاني : أن ما يجعله الله في القلوب يكون تارةً بواسطة الملائكة إن كان حقاً، وتارةً بواسطة الشياطين إذا كان باطلأ^(١٨). والملائكة والشياطين أحيا ناطقون كما قد دلت على ذلك الدلائل الكثيرة من جهة الأنبياء، وكما يدعى ذلك من باشره من أهل الحقائق. وهم يزعمون أن الملائكة والشياطين صفات لنفس الإنسان فقط. وهذا ضلال عظيم .

الثالث : إن الأنبياء جاءتهم الملائكة من ربهم بالوحى، ومنهم من كَلَمَهُ الله تعالى فَقَرَبَهُ وناداه، كما كلام موسى عليه السلام، لم يكن ما حصل لهم مجرد فيض كما يزعمه هؤلاء .

(١٨) وأبو حامد قال هذا بعينه في شرح عجائب القلب واستشهد له بحديث الترمذى والنسائى في الكبير في ملة الملك بابن آدم ولة الشيطان ، فهو لا يقول أن الملائكة والشياطين صفات للنفس بل يقول فيها ما قاله أهل السنة الجماعة في مواضع كثيرة من الاحياء فمن المستغرب من الشيخ إنكاره عليه .

الرابع : أن الإنسان إذا فرَغَ قلبه من كل خاطر،
فمن أين يعلم أن ما يحصل فيه حق؟ هذا إما أن يعلم
بعقل أو سمع، وكلاهما لم يدل على ذلك^(١٩).

الخامس : أن الذي قد عَلِمَ بالسمع والعقل أنه إذا
فرَغَ قلبه من كل شيء^(٢٠) حلت فيه الشياطين ثم
تنزلت عليه الشياطين، كما كانت تننزل على الكهان،
فإن الشيطان إنما يمنعه من الدخول إلى قلب ابن آدم
ما فيه من ذكر الله الذي أرسل به رسle، فإذا خلا من
ذلك تَوَلَّه الشيطان، قال الله تعالى : «وَمَن يَعْشُ عَنْ
ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ * وَإِنَّهُمْ

(١٩) فيه أنه إذا وافق الشرع يعلم به أنه حق وإن حكم بأنه باطل كما روى
عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني الذي يعترف له شيخ الإسلام بالولاية
والكرامات أنه رأى مرة نوراً وسمع منه خطاباً فيه أن ربه يقول له قد
أحللت لك المحرمات ، فأجابه أخساً يا لعين ، فانقلب دخاناً وقال
له نجوت مني بفقهك .

(٢٠) تفريغ القلب من كل شيء محال وإنما يجتهدون في تفريغه من الخواطر
التي تشغله عن ذكر الله ومراقبته كما صرَح به أبو حامد .

لِيُصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ» [الزخرف: ٣٦ - ٣٧] وقال الشيطان فيما أخبر الله عنه: «فِيْعَزِّتَكَ لِأَغْوِيَنَهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ» [ص: ٨٢ - ٨٣] وقال تعالى: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْفَارِّينَ» [الحجر: ٤٢] والمخلصون هم الذين يعبدونه وحده لا يشركون به شيئاً، وإنما يعبد الله بما أمر به على ألسنة رسله، فمن لم يكن كذلك تولته الشياطين .

وهذا باب دخل فيه أمر عظيم على كثير من السالكين واشتبهت عليهم الأحوال الرحمنية بالأحوال الشيطانية، وحصل لهم من جنس ما يحصل للكهان والسحرة، وظنوا أن ذلك من كرامات أولياء الله المتقيين كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع .

السادس: إن هذه الطريقة لو كانت حقاً فانما تكون في حق من لم يأته رسول. فأما منْ أتاه رسول وأمر

بسلاوك طريق فمن خالفه ضل . وخاتم الرسل ﷺ قد أَمَرَ أَمَّتَه بِعَبَادَاتٍ شَرِعِيَّةٍ مِّنْ صَلَاةٍ وَذِكْرٍ وَدُعَاءٍ وَقُرْاءَةٍ ، لَمْ يَأْمِرْهُمْ قَطُّ بِتَفْرِيغِ الْقَلْبِ مِنْ كُلِّ خَاطِرٍ وَانتِظَارٍ مَا يَنْزَلُ .

فَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ لَوْقُدْرَ أَنَّهَا طَرِيقٌ لِبَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ لَكَانَتْ مَنْسُوَخَةً بِشَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ ، فَكَيْفَ وَهِي طَرِيقَةٌ جَاهِلِيَّةٌ لَا تَوْجِبُ الْوَصْلَ إِلَى الْمَطْلُوبِ إِلَّا بِطَرِيقِ الْاِتْفَاقِ ، بَأْنَ يَقْذِفُ اللَّهُ تَعَالَى فِي قَلْبِ الْعَبْدِ إِلَهَامًا يَنْفَعُهُ ، وَهَذَا قَدْ يَحْصُلُ لِكُلِّ أَحَدٍ لَمْ يُسْتَعِدْ لِوَازِمِهِ إِلَّا بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ؟

وَلَكِنَّ التَّفْرِيغَ وَالتَّخْلِيَّةَ الَّتِي جَاءَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يَفْرُغَ قَلْبَهُ مِمَّا لَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، وَيَمْلُؤَهُ بِمَا يُحِبُّهُ اللَّهُ ، فَيَفْرُغُهُ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَيَمْلُؤُهُ بِعِبَادَةِ اللَّهِ ، وَكَذَلِكَ يَفْرُغُهُ عَنْ مَحْبَةِ غَيْرِ اللَّهِ وَيَمْلُؤُهُ بِمَحْبَةِ اللَّهِ ، وَكَذَلِكَ يَخْرُجُ مِنْهُ عَنْدِ خَوْفِ غَيْرِ اللَّهِ وَيَدْخُلُ فِيهِ خَوْفَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَيَنْفِي عَنْهُ التَّوْكِلَ عَلَى غَيْرِ اللَّهِ وَيَثْبِتُ فِيهِ

التوكل على الله^(٢١) وهذا هو الإسلام المتضمن للإيمان الذي يمد القرآن ويقويه ، لا ينافيه وينافي ، كما قال جندب وابن عمر «تعلمنا الإيمان ثم تعلمنا القرآن فازدادنا إيماناً»^(٢٢) .

وأما الاقتصر على الذكر المجرد الشرعي مثل قول : لا إله إلا الله - فهذا قد ينفع به الإنسان أحياناً ، لكن ليس هذا الذكر وحده هو الطريق إلى الله تعالى

(٢١) وأبو حامد يقصد كل هذا بتصرفه وفصله في أحياه ، وقد أخطأ في بعض المسائل كالبالغة في الزهد لأكثر العباد من السلف والخلف ، والقول بالجبر لأكثر الأشعرية وهذا من خطأ العلماء الاجتهادي الذي ذكر شيخ الإسلام مسائل منه عن الصحابة والتابعين وغيرهم وعدرهم فيه بتأو لهم واجتهادهم .

(٢٢) ورد عن جندب رضي الله عنه : قال : «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة ، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن ، ثم تعلمنا القرآن فازدادنا به إيماناً» .

آخرجه ابن ماجه (٦١) ، وقال البوصيري في الروايد : «إسناد هذا الحديث صحيح ، رجاله ثقات» . وأخرجه الطبراني في الكبير (٢ : ١٦٥ / ١٦٧٨) وعنه المزي في التهذيب (٧ : ٢٨٨) .

دون ما عداه، بل أفضل العبادات البدنية الصلاة ثم القراءة ثم الذكر ثم الدعاء^(٢٣) والمفضول في وقته الذي شرع فيه أفضل من الفاضل كالتسبيح في الركوع والسجود فإنه أفضل من القراءة، ثم قد يفتح على الإنسان في العمل المفضول ما لا يُفتح عليه في العمل الفاضل. وقد ييسر عليه هذا دون هذا فيكون هذا أفضل في حقه لعجزه عن الأفضل كالجائع إذا وجد الخبز المفضول متيسراً عليه والفاضل متعرضاً عليه فإنه ينتفع بهذا الخبز المفضول، وشبعه واغتناؤه به حينئذ أولى به.

السابع : أن أبا حامد يشبه ذلك بنقش الصين والروم على تزويق الحائط وأولئك صقلوا حائطهم حتى بمثل ما صقله هؤلاء^(٢٤)، وهذا قياسٌ فاسد لأن

(٢٣) الصوفية الشرعيون كأبي حامد يوافقونه في كل هذا إلا أنهم يقولون بالاكثر من الذكر وقد تكرر في القرآن الترغيب فيه.

(٢٤) يشير إلى المثل الذي ضربه لتطهير القلب وهو أن صناع الروم نقشوا جانباً من صفة بيت لأحد الملوك بأبداع النقوش ، وصناع الصين =

هذا الذي فرغ قلبه لم يكن هناك قلب آخر يحصل له به التحلية كما حصل لهذا الحائط، بل هو يقول إن العلم منقوش في النفس الفلكلية ويُسمى ذلك اللوح المحفوظ تبعاً لابن سينا^(٢٥).

= صقلوا الجانب الآخر حتى صار كالمرآة ، فلما زال الحجاب المضروب بينها انطبع ذلك النتش كله في الجانب المضقول ، فكذلك القلب الذي يصقل بذكر الله تعالى ينطبع فيه بعض العلوم المكتوبة في اللوح المحفوظ أو قلوب الملائكة .

(٢٥) إنما قال أبو حامد في اللوح ما قاله علماء الشرع لا الفلاسفة ، وعبارته في الأحياء هكذا : « فكما أن المهندس يصور أبنية الدار في بياض ثم يخرجها إلى الوجود على وفق تلك النسخة فكذلك فاطر السموات والأرض كتب نسخة العالم من أوله إلى آخره في اللوح المحفوظ ثم أخرجه إلى الوجود وعلى وفق تلك النسخة » أهـ فهو يقول في كتابه *مقادير الخلق* هي من أفعال الفاطر الاختيارية ، والنفس الفلكلية عند الفلاسفة قديمة أزلية بما فيها . وقال أبو حامد « إن حقائق الأشياء المسطورة في اللوح المحفوظ مسطورة في قلوب الملائكة المقربين ، وضرب مثلاً لاستفادة القلب العلم منهم ومن اللوح بالرؤيا الصادقة واستشهد لاستعداده لذلك بحديث « سبَّ المُفْرُونْ » وتفسیره بِهِ لهم بـ « الذاكرين الله كثيراً والذاكريات » وهو في صحيح مسلم [٤ : ٢٠٦٣] والمستدرك [١ : ٤٩٥ - ٤٩٦] ،

وقد بَيَّنا في غير هذا الموضع أن اللوح المحفوظ الذي ذكره الله ورسوله ليس هو النفس الفلكلية، وابن سينا ومنْ تبعه أخذوا أسماء جاء بها الشرع فوضعوا لها مسميات مخالفة لمسميات صاحب الشرع ثم صاروا يتكلمون بتلك الأسماء فيظن الجاهل أنهم يقصدون بها ما قصده صاحب الشرع، فأخذوا مخ الفلسفة وكسوه لحاء الشريعة، وهذا كلفظ الملك والملوك والجبروت واللوح المحفوظ والملك والشيطان والحدوث والقدم وغير ذلك وقد ذكرنا من ذلك طرفاً في الرد على الإتحادية لما ذكرنا قول ابن سبعين وابن عربي وما يوجد في كلام أبي حامد ونحوه من أصول هؤلاء الفلاسفة الملاحدة الذين يحرّفون كلام الله ورسوله عن مواضعه كما فعلت طائفة القرامطة الباطنية .

= واستشهد في فصل آخر بحديث المحدثين أي الملهمين وكون عمر رضي الله عنه - منهم . ولا تسع هذه الحاشية لبسط الموضوع .

والمقصود هنا أنه لو كانت العلوم تنزل على القلوب من النفس الفلكلية كما يزعم هؤلاء فلا فرق في ذلك بين الناظر والمستدل والمفرغ قلبه ، فتمثيل ذلك بنقش أهل الصين والروم تمثيل باطل . (٢٦)

ومن أهل هذه الخلوات من لهم أذكار معينة وقوت معين ولهم تنزلات معروفة . وقد بسط الكلام عليها ابن عربي الطائي ومن سلك سبيله كالتلمساني وهي تنزلات شيطانية قد عرفتها وخبرت ذلك من وجوه

(٢٦) ليس في هذا الموضوع شيءٌ من التحقيق الذي نعهده في كلام شيخ الإسلام والمظلوم فيه أبو حامد فإنه ليس من قرنه بهم من الفلاسفة والحادية الصوفية ، ولم يقل بنزول العلوم من النفس الفلكلية ، وقد فرق بين الناظر والمستدل وبين المفرغ قلبه بذكر الله من الخواطر الشياطية بأوضح بيان ومنها هذا التمثيل ، وكان الشيخ لم يراجع كلامه حين كتب هذا ولم يكن مما عنى بحفظه كما يحفظ كتب الحديث وألفاظها ، ولا بمعانيه كما عنى بمذاهب الفقه وغيرها ، لأنه لم يكن يراه يستحق هذه العناية . وسبحان من أحاط بكل شيء علماً ، وقال في وصف كتابه ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافاً كَثِيرًا ﴾ .

متعددة، لكن ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصود التنبية على هذا الجنس .

ومما يأمرون به الجوع والسهر والصمت مع الخلوة بلا حدود شرعية، بل سهر مطلق، وجوع مطلق، وصمت مطلق. مع الخلوة، كما ذكر ذلك ابن عربي وغيره وهي تُولّد لهم أحوالاً شيطانية. وأبو طالب قد ذكر بعض ذلك، لكن أبو طالب أكثر اعتصاماً بالكتاب والسنّة من هؤلاء، ولكن يذكر أحاديث كثيرة ضعيفة بل موضوعة، من جنس أحاديث المسبعثات التي رواها عن الخضر عن النبي ﷺ وهو كذب محض وإن كان ليس فيه إلا قراءة قرآن ويدرك أحياناً عبادات بدعية من جنس ما بالغ في معراج الجوع هو وأبو حامد وغيرهما وذكروا أنه يزن الخبز بخشب رطب، كلما جف نقص الأكل (٢٧) .

(٢٧) إن بعض هذه الرياضيات لم يكونوا يعدونها عبادة مطلوبة شرعاً بل تجرب نافعة كتقليل الطعام بالتدرج الذي يؤمن به ضرر تغيير العادة .

وذكرها صلوات الأيام والليالي ، وكلها كذب موضوعة ، ولهذا قد يذكرون مع ذلك شيئاً من الخيالات الفاسدة وليس هذا موضع بسط ذلك .

وإنما الغرض التنبيه بهذا على جنس من العبادات البدعية . وهي الخلوات البدعية سواء قدرت بزمانٍ أو لم تقدر لما فيها من العبادات البدعية . أما التي جنسها مشروع ولكن غير مقدرة . وإنما كان جنسه غير مشروع ، فأما الخلوة والعزلة والإنفراد المشروع فهو ما كان مأموراً به أمر إيجاب أو استحباب (٢٨) .

فال الأول كاعتزال الأمور المحرمة ومجانبتها كما قال تعالى : «وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَاعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ» [الأنعام : ٦٨] ومنه قوله تعالى عن الخليل : «فَلَمَا اعْتَرَزَهُمْ وَمَا

(٢٨) ومنه ما يقوم الدليل على شرعية جنسه وإن لم يرد نص في الأمر به بعينه ، وقد بسط أبو حامد في كتاب العزلة من الاحياء فوائد العزلة وغوايela لمعرفة الراجح من المرجوح منها .

يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهُنَّا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلُّا
 جَعَلْنَا نَبِيًّا» [مريم: ٤٩] وقوله عن أهل الكهف:
 «وَإِذْ اعْتَرَزَتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ فَأَوْلَوْا إِلَى
 الْكَهْفِ» [الكهف: ١٦] فإن أولئك لم يكونوا في
 مكان فيه جماعة ولا جماعة، ولا من يأمر بشرعنبي
 فلهذا آتوا إلى الكهف وقد قال موسى: «وَإِنْ لَمْ
 تُؤْمِنُوا بِي فَاعْتَرِلُونَ» [الدخان: ٢١].

وأما اعتزال الناس في فضول المباحثات وما لا
 ينفع، وذلك بالزهد فيه فهو مستحب وقد قال طاوس:
 نعم صومعة الرجل بيته يكف فيه بصره وسمعه.

وإذا أراد الإنسان تحقيق علم أو عمل فتخلى في
 بعض الأماكن مع محافظته على الجمعة والجماعة،
 فهذا كما في الصحيحين أن النبي ﷺ سئل: أي الناس
 أفضل؟ قال: «رجل آخذ بعنان فرسه في سبيل الله
 كلما سمع هيجة^(٢٩) طار إليها يتبع الموت مظانه،

(٢٩) الهيجة الصوت الذي نزع منه وتخافه من عدو.

ورجل معتزل في شعب من الشعاب يقيم الصلاة
ويؤتي الزكاة ويدع الناس إلا من خير»^(٣٠) قوله «يقيم
الصلاه ويؤتي الزكاه» دليل على أن له مالاً يزكيه وهو
ساكن مع ناس يؤذن بينهم وتقام الصلاة فيهم فقد قال
صلوات الله عليه: «ما من ثلاثة في قرية ولا بدو لا تقام
فيهم الصلاة جماعة إلا وقد استحوذ عليهم
الشيطان»^(٣١) وقال: «عليكم بالجماعة، فإنما يأخذ

(٣٠) قلت: أخرج البخاري (٦: ٦) عن أبي سعيد الخدري قال: قيل: يارسول الله، أي المؤمنين أفضل؟ فقال رسول الله ﷺ: «مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله». قالوا: ثم من؟ قال: «مؤمن في شعب من الشعاب يتقي الله ويدع الناس من شره». وأخرج مسلم (٣: ١٥٠٣ - ١٥٠٤) من حديث أبي هريرة مرفوعاً: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله ، يطير على منته ، كلما سمع هيبة أو فزعه طار عليه بيته في القتل والموت مظانه ، أو رجل في غنيمة من رأس شعفة من هذه الشعف ، أو بطن واد من هذه الأودية يقيم الصلاة ويتقي الزكاة ، ويعبد ربه حتى يأتيه اليقين ، ليس من الناس إلا في خير». فكان المؤلف - رحمة الله - جعلها حديثاً واحداً ، والله أعلم .

(٣١) أخرجه أبوجعفر (٥: ١٩٦) والنسائي (٢: ١٠٦) وأبي داود (٥٤٧) =

الذئب القاصية من الغنم» . (٣٢)

فصل

وهذه الخلوات قد يقصد أصحابها الأماكن التي ليس فيها أذان ولا إقامة ولا مسجد يُصلّى فيه الصلوات الخمس إما مساجد مهجورة وإما غير مساجد مثل الكهوف والغيران التي في الجبال، ومثل المقابر لاسيما قبر مَنْ يُحسن به الظن ومثل المقابر التي يُقال أن بها أثر نبي أو رجل صالح. ولهذا يحصل لهم في هذه المواقع أحوال شيطانية، يظنون أنها كرامات رحمانية .

فمنهم من يرى أن صاحب القبر قد جاء إليه وقد مات من سنين كثيرة ويقول أنا فلان ، وربما قال له : نحن

= وابن خزيمة (١٤٨٦) وابن حبان (٣ : ٤١٠ - الاحسان) ، والحاكم (١ : ٢٤٦) وصححه ووافقه الذهبي . وإسناده حسن ، وهو من حديث أبي الدرداء .

(٣٢) جزء من الحديث المتقدم ، وصنع المؤلف يوهم أنها حديثان .

إذا وضعنا في القبر خرجنا كما للتونسي مع نعمان
السلامي .

والشياطين كثيراً ما يتصورون بصورة الانس في
اليقظة والمنام ، وقد تأتي لمن لا يعرف فتقول: أنا
الشيخ فلان أو العالم فلان ، وربما قالت: أنا أبو بكر
وعمر ، وربما قال: أنا المسيح أنا موسى أنا محمد ،
وقد جرى مثل ذلك أنواع أعرفها^(٢٣) وثم من يصدق
بأن الأنبياء يأتون في اليقظة في صورهم ، وثم شيوخ
لهم زهد وعلم ودين يصدقون بمثل هذا .

(٢٣) من ذلك أنه ذكر له رحمة الله أنه رُؤى في بعض البلاد يعظ التار وهو
لم يذهب إلى تلك البلاد ، فعلل ذلك بقوله : لعل بعض إخواننا من
مسلمي الجن تمثل في صورتنا وصار يعظ هؤلاء الناس لأجل أن يقبل
وعظه . ولم يقل أن ذلك شيطان لأنه كان يأمر بالخير ، وبناء عليه
لا ينبغي أن يُقال فيمن يرون بعض الأنبياء أو الصحابة يأمر وهم
بالحق والخير أنهم رأوا شياطين بصورتهم تأمرهم بذلك وإنما يصح أن
يقال ذلك فيمن يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف شرعاً كما وقع للشيخ
عبد القادر . والتحقيق أن أكثر هذه الصور خالية سببها كثرة
ال الفكر .

ومن هؤلاء من يظن أنه حين يأتي إلى قبر نبي أن النبي يخرج من قبره في صورته فيكلمه. ومن هؤلاء من رأى في دائرة الكعبة صورة شيخ قال إنه إبراهيم الخليل، ومنهم من يظن أن النبي ﷺ خرج من الحجرة وكلمه. وجعلوا هذا من كراماته، ومنهم من يعتقد أنه إذا سأله المقرب أجابه.

وبعضهم كان يحكي أن ابن منده كان إذا أشكل عليه حديث جاء إلى الحجرة النبوية ودخل فسأل النبي ﷺ عن ذلك فأجابه. وآخر من أهل المغرب حصل له مثل ذلك، وجعل ذلك من كراماته، حتى قال ابن عبد البر لمن ظن ذلك : ويحك ! أترى هذا أفضل من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار؟ فهل في هؤلاء من سأله النبي ﷺ بعد الموت وأجابه؟ وقد تنازع الصحابة في أشياء، فهلا سألوا النبي ﷺ فأجابهم، وهذه ابنته فاطمة تنازع في ميراثه فهلا سأله فأجابها؟^(٣٤).

(٣٤) في هذا إن صع ما ذكروه لا يقتضي أن يكون من يرى ذلك أفضل =

فصل

والأنبياء صلوات الله عليهم وسلم أجمعين قد أمرنا أن نؤمن بما أتوه وأن نقتدي بهم وبهداهم . قال الله تعالى : **﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا وَمَا أَنْزَلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَاسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾** [البقرة : ١٣٦] وقال تعالى : **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيهِدَاهُمْ أَقْتَلُهُمْ﴾**

من المهاجرين والأنصار ولا من لا يرى ما رأى إذ يوجد في المفضول ما لا يوجد في الفاضل ولا الأفضل كما بينه المؤلف في رسالة «المعجزات والكرامات ». وأما المسألة في نفسها فلا شك أن أكثر ما يُروى في رؤية الأرواح تخيلات تعرض للمستعدين لها من المرتاضين ولا سيما أصحاب الأمزجة العصبية ولذلك نرى كل واحد منهم ينقل عنها ما يوافق اعتقاده ومعارفه من حق أو باطل . وبعض الصوفية وغيرهم يذكرون فرقاً بين الرؤية الخيالية التي تشبه الرؤيا المنامية وبين رؤية الأرواح الحقيقة وهذه المسألة قد شغلت فريقاً من علماء النفس وغيرهم في هذا العصر ومحكمون فيها وقائع غريبة ، ولما ثبت للجهاهير ببرهان علمي ولا بتجربة واضحة لا لبس فيها .

[الأنعام: ٩٠] ومحمد ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده، وقد نسخ بشرعه ما نسخه من شرع غيره، فلم يبق طریقٌ إلی الله إلّا اتباع محمد ﷺ، فما أمر به من العبادات أمر إيجاب أو استحباب فهو مشروع وما رغب فيه وذكر ثوابه وفضله.

ولا يجوز أن يُقال أن هذا مستحب أو مشروع إلا بدليل شرعي، ولا يجوز أن يُثبت شريعة بحديث ضعيف، لكن إذا ثبت أن العمل مستحب بدليل شرعي وروي له فضائل بأسانيد ضعيفة جاز أن تُروي إذا لم يعلم أنها كذب، وذلك أن مقدار الثواب غير معلومة، فإذا رُوي في مقدار الثواب حديث لا يُعرف أنه كذب لم يجز أن يكذب به، وهذا هو الذي كان للإمام أحمد بن حنبل وغيره يرخصون فيه وفي روايات أحاديث الفضائل. وأما أن يثبتوا أن هذا عمل مستحب مشروع بحديث ضعيفٍ فهاشم الله، كما أنهم إذا عرفوا أن الحديث كذبٌ فإنهم لم يكونون يستحلون روايته إلا أن يثبتوا أنه كذب لقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح :

« من رَوَى عَنِ حَدِيثٍ يُرَى أَنَّهُ كَذَبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَاذِبِينَ » . (٣٥)

وما فعله النبي ﷺ على وجه التعبّد فهو عبادة يُشرع التأسي به فيه. فإذا تخصص زمان أو مكان بعبادة كان تخصيصه بتلك العبادة سنة كتخصيصه مقام إبراهيم بالصلاه فيه، فالتأسي به أن يفعل مثل ما فعل على الوجه الذي فعل لأنّه فعل .

وذلك إنما يكون بأن يقصد مثلاً قصد، فإذا سافر لحج أو عمرة أو جهاد وسافرنا لذلك كنا متبعين له، وكذلك إذا ضرب لإقامة حد، بخلاف من شاركه في السفر وكان قصده غير قصده أو شاركه في الضرب وكان قصده غير قصده ، فهذا ليس بمتابع له ، ولو فعل فعلًا بحكم الإتفاق مثل نزوله في السفر بمكان ، أو أن يصب في أدواته ماء فصبه في أصل شجرة ، أو أن تمشي راحلته في

(٣٥) أخرجه مسلم (١:٩) وابن ماجه (٣٨) من حديث علي بن أبي طالب .
بلغظ : « من حَدَثٍ ». وأخرجه أحمد (٥:١٤) وابن ماجة (٤٠) .
بلغظ : « رَوَى » من حديث سمرة بن جندب .

أحد جانبي الطريق ونحو ذلك فهل يستحب قصد متابعته في ذلك ؟ كان ابن عمر يحب أن يفعل مثل ذلك . وأما الخلفاء الراشدون وجمهور الصحابة فلم يستحبوا ذلك لأن هذا ليس متابعة له ، إذ المتابعة لابد فيها من القصد ، فإذا لم يقصد هو ذلك الفعل بل حصل له بحكم

الاتفاق^(٣٦) كان في قصده غير متابع له وابن عمر رحمة الله يقول : وإن لم يقصده^(٣٧) لكن نفس فعله حسن على أي وجه كان فأحب أن أفعل مثله ، إما لأن ذلك زيادة في محبته وأما لتركه مشابهته .

ومن هذا الباب إخراج التمر في صدقة الفطر لمن ليس ذلك قوته ، وأحمد قد وافق ابن عمر على مثل ذلك . ويرخص في مثل ما فعله ابن عمر وكذلك

(٣٦) وقد **بَيَّنَ** **النَّبِيُّ** **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** مثل هذا **لِمَّا يُقْصَدُ** فقال في نسكه في حجة الوداع : « وقفت هنا وعرفة كلها موقف . ومني كلها منحر » وإذا لم يرد أن يتبع في مثل هذه الأمور الاتفاقية في النسك فغير النسك أولى ، ومخالفة ابن عمر لجمهور الصحابة في هذا يُعذر فيها بحسن نيته ولا يتبع .

(٣٧) أي لم يقصد النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** هذا الفعل .

رخص أَحْمَدُ فِي التَّمْسُحِ بِمَقْعِدِهِ مِنَ الْمِنْبَرِ اتِّبَاعًاً لِابْنِ عَمْرٍ. وَعَنْ أَحْمَدَ فِي التَّمْسُحِ بِالْمِنْبَرِ رِوَايَاتٌ: أَشْهَرُهُمَا أَنَّهُ مَكْرُوهٌ كَقُولِ الْجَمَهُورِ، وَأَمَّا مَالِكٌ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَيَكْرِهُونَ هَذِهِ الْأَمْرَوْنَ إِنْ فَعَلُوهُ ابْنُ عَمْرٍ فَإِنَّ أَكَابِرَ الصَّحَابَةِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَغَيْرِهِمْ لَمْ يَفْعُلُوهُ، فَقَدْ ثَبَّتَ بِالْإِسْنَادِ الصَّحِيحِ عَنْ عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ فِي السَّفَرِ فَرَأَاهُمْ يَنْتَابُونَ مَكَانًا فِيهِ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالُوا: مَكَانٌ صَلِّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَتَرِيدُونَ أَنْ تَتَخَذُوا آثَارَ أَنْبِيَائِكُمْ مَسَاجِدًا؟ إِنَّمَا هَلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهَذَا، مَنْ أَدْرَكَهُ فِي الصَّلَاةِ فَلِيَصِلْ فِيهِ وَإِلَّا فَلِيَمْضِ .^(٣٨) وَهَكُذا لِلنَّاسِ قَوْلَانِ فِيمَا فَعَلَهُ مِنَ الْمِبَاحَاتِ عَلَىٰ غَيْرِ وَجْهِ الْقَصْدِ هُلْ مَتَابِعُهُ فِيهِ مِبَاحَةٌ فَقْطًا أَوْ مُسْتَحْبَةٌ، عَلَىٰ قَوْلِيْنِ فِي مَذْهَبِ أَحْمَدٍ وَغَيْرِهِ كَمَا قَدْ بَسَطَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعِهِ، وَلِمْ يَكُنْ ابْنُ عَمْرٍ وَلَا غَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ يَقْصِدُونَ الْأَمَانَكَنْ

(٣٨) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شِيْبَةَ (٢: ٣٧٦) بِالْفَاظِ مَقَارِبَةً، وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ .

التي كان ينزل فيها وبيت فيها مثل بيوت أزواجه ومثل مواضع نزوله في مغازييه ، وإنما كان الكلام في مشابهته في صورة الفعل فقط وإن كان هو لم يقصد التبعد به فاما الأمكنة نفسها فالصحابه متفقون على أنه لا يُعظم منها إلا ما عظمه الشارع .

فصل

واما قصد الصلاة والدعاء والعبادة في مكانٍ لم يقصد الأنبياء فيه الصلاة والعبادة بل رُوي أنهم مرروا به ونزلوا فيه أو سكنوه فهذا كما تقدم لم يكن ابن عمر ولا غيره يفعله فإنه ليس فيه متابعتهم لا في عملٍ عمليٍ ولا قصدٍ قصدواه ، ومعلوم أن الأمكنة التي كان النبي ﷺ يحل فيها إما في سفره وإما في مقامه مثل طرقه في حجه وغزواته ومنازله في أسفاره ، ومثل بيوته التي كان يسكنها والبيوت التي كان يأتي إليها

أحياناً^(٣٩) . فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك».

فهذه نصوصه الصريحة توجب تحريم اتخاذ قبورهم مساجد مع أنهم مدفونون فيها ، وهم أحياء في قبورهم، ويُستحب إتيان قبورهم للسلام عليهم ، ومع هذا يحرم إتيانها للصلوة عندها واتخاذها مساجد .

ومعلوم أن هذا إنما نهي عنه لأنه ذريعة إلى الشرك، وأراد أن تكون المساجد خالصة لله تعالى تُبنى لأجل عبادته فقط ، لا يشركه في ذلك مخلوق ، فإذا بُني المسجد لأجل ميت كان حراماً، فكذلك إذا كان لأثر

(٣٩) سقط من هنا ورقة من الأصل . والظاهر من سياق الكلام أنه تكلم فيه على ما اتخذ الناس من القبور والأماكن محال عبادة . وإن ذلك غير مشروع . واحتج على ذلك بأحاديث . منها حديث « إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد » الخ . ويُعلم تفصيل هذا من كتاب « التوسل والوسيلة » له وهو مطبوع مشهور .

آخر، فإن الشرك في الموضعين حاصل، ولهذا كانت النصارى يبنون الكنائس على قبر النبي والرجل الصالح وعلى أثره وباسمه. وهذا الذي خاف عمر رضي الله عنه أن يقع فيه المسلمون هو الذي قصد النبي ﷺ منع أمته منه، قال الله تعالى : «وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» [الجن: ١٨] وقال تعالى : «قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لِهُ الدِّينِ» [الأعراف: ٢٩] وقال تعالى : «مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمِرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبْطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ» إِنَّمَا يَعْمِرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهَتَّدِينَ» [التوبه: ١٨ - ١٧]

ولو كان هذا مستحبًا لكان يستحب للصحابية والتابعين أن يُصلوا في جميع حجر أزواجه وفي كل مكان نزل فيه في غزواته أو أسفاره. ولكان يستحب أن

يبنوا هناك مساجد، ولم يفعل السلف شيئاً من ذلك.

ولم يشرع الله تعالى لل المسلمين مكاناً يقصد للصلوة إلا المسجد. ولا مكان يقصد للعبادة إلا المشاعر. فمشاعر الحج كعرفة ومزدلفة ومنى تقصد بالذكر والدعاء والتكبير لا الصلاة، بخلاف المساجد، فإنها هي التي تقصد للصلوة، وما ثم مكان يقصد بعینه إلا المساجد والمشاعر. وفيها الصلاة والنسك، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذِلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ - ١٦٣] وما سوى ذلك من البقاء فإنه لا يستحب قصد بقعة بعینها للصلوة ولا الدعاء ولا الذكر إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصداً لها لذلك وإن كان مسكنناً لنبيٍ أو متزلاً أو ممراً.

فإن الدين أصله متابعة النبي ﷺ وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا، ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها بخلاف ما كان من خصائصه.

فاما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا ولا أمرنا به ولا
 فعله فعلاً سنّ لنا أن نتأسى به فيه، فهذا ليس من
 العبادات والقرب، فاتخاذ هذا قربةً مخالفةً له بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وما
 فعله من المباحات على غير وجه التعبيد يجوز لنا أن
 نفعله مباحاً كما فعله مباحاً، ولكن هل يشرع لنا أن
 نجعله عبادةً وقربةً؟ فيه قولان كما تقدم، وأكثر السلف
 والعلماء على أنا لا نجعله عبادةً وقربةً بل نتبعه فيه فإن
 فعله مباحاً فعلناه مباحاً، وإن فعله قربةً فعلناه قربةً.
 ومن جعله عبادةً رأى أن ذلك من تمام التأسي به
 والتشبه به ورأى أن في ذلك بركة لكونه مختصاً به نوع
 اختصاص (٤٠).

(٤٠) أي هذا مدرك اجتهاد مخالفي جهور السلف وأئمة الأمصار في المسألة
 ومدرك الجمهور أقوى فإن التعبيد بما لم يجعله الشارع عبادة شرع لم
 يأذن به الله وغلو في الدين وكلاهما من عظام الموبقات المذمومة في
 القرآن، وقصد التبرك لا يبيح مخالفته في أصل التشريع وكون دينه
 وسطاً لا غلو فيه.

وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويُبغضُ إليهم السبيل الشرعية، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره. وقد يبغض إليهم جنس الكتاب فلا يحبون كتاباً ولا من معه كتاب ولو كان مصحفاً أو حديثاً، كما حكى النصر أبازدي أنهم كانوا يقولون: يدع علم الخرق، ويأخذ علم الورق، قال: ولست أستر الواحي منهم ، فلما كبرت احتاجوا إلى علمي. وكذلك حكى السري السقطي أن واحداً منهم دخل عليه فلما رأى عنده محبرةً وقلماً خرج ولم يقعد عنده. ولهذا قال سهل بن عبد الله التستري: يا معاشر الصوفية، لا تفارقوا السواد على البياض، فما فارق أحد السواد على البياض إلا تزندق. وقال الجنيد: علمنا هذا مبنياً على الكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يقتدى به في هذا الشأن. وكثير من هؤلاء ينفرُ من يذكر الشرع أو القرآن أو يكون معه كتاب أو يكتب، وذلك أنهم استشعروا أن هذا

الجنس فيه ما يخالف طريقهم فصارت شياطينهم تهربهم من هذا، كما يهرب اليهودي والنصراني ابنه أن يسمع كلام المسلمين حتى لا يتغير اعتقاده في دينه، وكما كان قوم نوح يجعلون أصابعهم في آذانهم ويستغشون ثيابهم لئلا يسمعوا كلامه ولا يروه، وقال الله تعالى عن المشركين : **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوَا فِيهِ لَعْلَكُمْ تَغْلِبُونَ﴾** [فصلت : ٢٦] وقال تعالى : **﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذَكِّرَةِ مُعَرِّضِينَ * كَانُهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ * فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةَ﴾** [المدثر : ٤٩ - ٥١]. وهم من أرغم الناس في السماع البدعي سماع المعاذف، ومن أزهدهم في السماع الشرعي سماع آيات الله تعالى .

وكان مما زَيَّن لهم طريقهم أن وجدوا كثيراً من المشتغلين بالعلم والكتب معرضين عن عبادة الله تعالى وسلوك سبيله إما اشتغالاً بالدنيا، وإما بالمعاصي وإما جهلاً وتكذيباً بما يحصل لأهل التأله والعبادة، فصار وجود هؤلاء مما ينفرهم، وصار بين الفريقين نوع

تباغض يشبه من بعض الوجوه ما بين أهل الملتين:
هؤلاء يقولون ليس هؤلاء على شيء، وهؤلاء يقولون
ليس هؤلاء على شيء، وقد يظنون أنهم يحصل لهم
بطريقهم أعظم مما في الكتب .

فمنهم من يظن أنه يُلْقَنُ القرآن بلا تلقين. ويحكون
أن شخصاً حصل له ذلك، وهذا كذب. نعم، قد
يكون سمع آيات الله فلما صفت نفسه تذكرها فتلاها.
فإن الرياضة تصقل النفس فيذكر أشياء كان قد نسيها،
ويقول بعضهم أو يحكي أن بعضهم قال: أخذنا
علمهم ميتاً عن ميت، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا
يموت. وهذا يقع، لكن منهم من يظن ما يُلْقَى إليه من
خطابٍ أو خاطر هو من الله تعالى بلا واسطة، وقد
يكون من الشيطان. وليس عندهم فرقانٌ يُفَرَّقُ بين
الرحمني والشيطاني فإن الفرق لا يخطئه هو القرآن
والسنة فما وافق الكتاب والسنة فهو حق وما خالف
ذلك فهو خطأ .

وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضُ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ حتى إذا جاءنا قال يا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقِينِ فِيْشَ الْقَرِينِ﴾

[الزخرف: ٣٨ - ٣٦].

وذكر الرحمن هو ما أنزله على رسوله قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرُ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الأنباء: ٥٠] وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [القلم: ٥٢] وقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِيْهُدِيَ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَيَ فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ قال رب لم حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا﴾ قال كَذِلِكَ اتَّكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَّتَهَا وَكَذِلِكَ الْيَوْمَ تُنَسَّى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٦]

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُذَا الْقَرآنَ يَهْدِي لِلّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أُعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩ - ١٠] وقال تعالى:

﴿وَكَذَلِكَ أُوحِيَنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا
الْكِتَابُ وَلَا الإِيمَانُ وَلِكُنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ
نَشَاءَ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ *
صِرَاطٍ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا
إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشُورى: ٥١ - ٥٢] وَقَالَ
تَعَالَى : «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ
الْحَمِيدِ» [ابْرَاهِيمٌ: ١] وَقَالَ تَعَالَى : «فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ
وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أَنْزَلَ مَعَهُ أُولَئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ» [الْأَعْرَافٌ: ١٥٧] .

ثُمَّ إِنَّ هُؤُلَاءِ لَمَا ظَنُوا أَنْ هَذَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ بِلَا
وَاسْطَةٍ صَارُوا عِنْدَ أَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ مِنْ أَتَابِعِ الرَّسُولِ.
يَقُولُ أَحَدُهُمْ : فَلَانِ عَطَيْتَهُ عَلَى يَدِ مُحَمَّدٍ وَأَنَا عَطَيْتُهُ
مِنَ اللَّهِ بِلَا وَاسْطَةٍ . وَيَقُولُ أَيْضًا : فَلَانِ يَأْخُذُ عَنِ
الْكِتَابِ وَهَذَا الشِّيخُ يَأْخُذُ عَنِ اللَّهِ وَمُثْلُ هَذَا .

وَقَوْلُ الْقَائِلِ : يَأْخُذُ عَنِ اللَّهِ وَأَعْطَانِي اللَّهُ لِفَظُ
مَجْمُلٍ ، فَإِنْ أَرَادَ بِهِ الْإِعْطَاءَ وَالْأَخْذَ الْعَامَ وَهُوَ الْكُوْنِي

الخلقي أي بمشيئة الله وقدرته حصل لي هذا، فهو حق، ولكن جميع الناس يشاركونه في هذا، وذلك الذي أخذ عن الكتاب هو أيضاً عن الله أخذ بهذا الإعتبار. والكفار من المشركين وأهل الكتاب أيضاً هم كذلك، وإن أراد أن هذا الذي حصل لي هو مما يحبه الله ويرضاه ويقرب إليه. وهذا الخطاب الذي يلقى إلىٰ هو كلام الله تعالى : فهنا طريقان :

أحدهما : أن يُقال له : من أين لك أن هذا إنما هو من الله لا من الشيطان وإلقاءه ووسوسته؟ فإن الشياطين يُوحون إلىٰ أوليائهم وينزلون عليهم كما أخبر الله تعالى بذلك في القرآن، وهذا موجود كثيراً في عباد المشركين وأهل الكتاب وفي الكهان والسحرة ونحوهم، وفي أهل البدع بحسب بدعهم. فإن هذه الأحوال قد تكون شيطانية وقد تكون رحمنية، فلابد من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، والفرقان إنما هو الفرقان الذي بعث الله به محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ

نذيرًا﴿ [الفرقان: ١] وهو الذي فرق الله به بين الحق والباطل وبين الهدى والضلال وبين الرشاد والغىّ، وبين طريق الجنة وطريق النار، وبين سبيل أولياء الرحمن، وسبيل أولياء الشيطان. كما قد بسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع .

والمقصود هنا أنه يُقال: إذا كان جنس هذه الأحوال مشتركًا بين أهل الحق وأهل الباطل فلا بد من دليل يبين أن ما حصل لكم هو الحق .

الطريق الثاني: أن يُقال: بل هذا من الشيطان لأنه مخالفٌ لما بعث الله به محمداً ﷺ وذلك أنه يُنظر فيما حصل له وإلى سببه وإلى غايته، فإن كان السبب عبادةً غير شرعية مثل أن يُقال له اسجد لهذا الصنم حتى يحصل لك المراد، أو استشفع بصاحب هذه الصورة حتى يحصل لك المطلوب، أو ادع هذا المخلوق واستغث به مثل أن يدعوا الكواكب كما يذكرون في كتب دعوة الكواكب، أو أن يدعوا مخلوقاً

كما يدعو الخالق سواء كان المخلوق ملكاً أونبياً أو شيخاً، فإذا دعاه كما يدعى الخالق سبحانه إما دعاء عبادة وإما دعاء مسألةٍ صار مشركاً به، فحينئذ ما حصل أنه بهذا السبب حصل بالشرك كما كان يحصل للمشركين، وكان الشياطين تراءى لهم أحياناً وقد يُخاطبونهم من الصنم ويُخبرونهم ببعض الأمور الغائبة أو يقضون لهم بعض الحوائج، فكانوا يبذلون لهم هذا النفع القليل بما اشتروه منهم من توحيدهم وإيمانهم الذي هلكوا بزواله كالسحر قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتَّةٌ فَلَا تَكُفُّرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْرَقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشترأه ماله في الآخرة مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكذلك قد يكون سببه سماع المعاذف وهذا كما يُذكر عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أنه قال: «اتقوا

الخمر فإنها أم الخبائث . وإن رجلاً سأله إمرأةً فقالت: لا أفعل حتى تسجد لهذا الوثن ، فقال: لا أشرك بالله ، فقالت: أو تقتل هذا الصبي؟ فقال: لا أقتل النفس التي حَرَمَ الله ، فقالت: أو تشرب هذا القدر؟ فقال: هذا أهون ، فلما شرب الخمر قتل الصبي وسجد للوثن وزنا بالمرأة»^(٤١)

والمعاذف هي خمر النفوس ، تفعل بالنفوس أعظم مما تفعل حميا الكؤوس ، فإذا سكروا بالأصوات حلّ فيهم الشرك ومالوا إلى الفواحش وإلى الظلم ، فيشركون ويقتلون النفس التي حرم الله ويزنون .

وهذه الثلاثة موجودة كثيراً في أهل سماع المعاذف : سماع المكاء والتصدية ، أما الشرك فغالب عليهم بأن يحبوا شيخهم أو غيره مثل ما يحبون الله ، ويتواجدون على حبه .

(٤١) أخرجه البيهقي في سنته (٨: ٢٨٧ - ٢٨٨) بالفاظ مغايرة إذ أن فيه أن المرأة هي التي أرادت غوايتها ثم خيرته بهذا الأشياء ، وليس فيه ذكر الوثن . وصححه ابن كثير في تفسيره (٣: ١٨٠) .

وأما الفواحش فالغناء رقيةُ الزنا وهو من أعظم الأسباب لوقوع الفواحش ويكون الرجل والصبي والمرأة في غاية العفة والحرية حتى يحضره فتنحل نفسه وتسهل عليه الفاحشة ويميل لها فاعلاً أو مفعولاً به أو كلاهما كما يحصل بين شاربي الخمر وأكثر .

وأما القتل : فإن قتل بعضهم بعضاً في السماع كثير يقولون : قتله بحاله ويُعدُّون ذلك من قوته ، وذلك أن معهم شياطين تحضرهم فأيهم كانت شياطينه أقوى قتل الآخر ، كالذين يشربون الخمر ومعهم أعوان لهم فإذا شربوا عربدوا فأيهم كانت أعوانه أقوى قتل الآخر ، وقد جرى مثل هذا لكثيرٍ منهم ، ومنهم مَنْ يقتل إما شخصاً وإما فرساً أو غير ذلك بحاله ، ثم يقوم صاحب الثأر ويستغيث بشيخه فيقتل ذلك الشخص وجماعةً معه إما عشرة وإما أقل أو أكثر كما جرى مثل هذا لغير واحد ، وكان الجهال يحسبون هذا من باب الكرامات .

فلما تبين لهم أن هذه أحوال شيطانية وأن هؤلاء معهم شياطين تُعينهم على الإثم والعدوان عرف ذلك من بَصَرَهُ الله تعالى وانكشف التلبيس والغش الذي كان لهؤلاء .

و كنتُ في أوائل عمري حضرت مع جماعة من أهل الزهد والعبادة والإرادة ف كانوا من خيار أهل هذه الطبقة ، فبتنا بمكانٍ وأرادوا أن يُقيموا سِماعاً وأن أحضر معهم فامتنعتُ من ذلك فجعلوا لي مكاناً منفرداً قعدتُ فيه فلما سمعوا وحصل الوجد والحال صار الشيخ الكبير يهتف بي في حال وجده ويقول : يا فلان قد جاءك نصيبٌ عظيم تعال خذ نصيبك . فقلت في نفسي ثم أظهرته لهم لما اجتمعنا : أنتم في حل من هذا النصيب فكلُّ نصيبٍ لا يأتي على طريق محمد ابن عبدالله فإني لا آكل منه شيئاً . وتبين لبعض منْ كان فيهم ممن له معرفة وعلم أنه كان معهم الشياطين وكان فيهم من هو سكران بالخمر .

والذى قلته معناه أن هذا النصيب وهذه العطية
والموهبة والحال سببها غير شرعى ليس هو طاعة لله
ورسوله ولا شَرَعَها الرسول فهو مثل مَنْ يقول : تعال
اشرب معنا الخمر ونحن نعطيك هذا المال ، أو عَظِمْ هذا
الصنم ونحن نوليك هذه الولاية ونحو ذلك .

وقد يكون سببها نذرٌ لغير الله سبحانه وتعالى مثل أن
ينذر لصنمٍ أو كنيسةٍ أو قبرٍ أو نجمٍ أو شيخٍ ونحو ذلك
من النذور التي فيها شرك ، فإذا أشرك بالنذر فقد يعطيه
الشيطان بعض حوائجه كما تقدم في السحر ، وهذا
بخلاف النذر لله تعالى فإنه ثبت في الصحيحين عن
ابن عمر عن النبي ﷺ أنه نهى عن النذر وقال : « إنه
لا يأتي بخير وإنما يُستخرج به من البخل »^(٤٢) وفي
الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ نحوه^(٤٣) ،

(٤٢) أخرجه البخاري (١١: ٥٧٦) ومسلم (٣: ١٢٦١) بالفاظ مقاربة .

(٤٣) أخرجه البخاري (١١: ٥٧٦) ومسلم (٣: ١٢٦١) .

وفي رواية: «إِنَّ النَّذْرَ يُلْقِي أَبْنَادَمَ إِلَى الْقَدْرِ»^(٤٤)
 فهذا المنهي عنه هو النذر الذي يجب الوفاء به منهي
 عن عقده ، ولكن إذا كان قد عقده فعليه الوفاء به كما
 في صحيح البخاري عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ نَذَرَ أَنْ
 يطِيعَ اللَّهَ فَلَا يُطِيعُهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا
 يَعْصِيهِ»^(٤٥) .

وإنما نهى عنه ﷺ لأنه لا فائدة فيه إلا التزام ما
 التزمه وقد لا يرضي به فيبقى إثماً . وإذا فعل تلك
 العبادات بلا نذر كان خيراً له . والناس يقصدون بالنذر
 تحصيل مطالبهم ، فَبَيْنَ النَّبِيِّ وَالنَّذْرِ لَا يَأْتِي
 بخَيْرٍ ، فَلَيْسَ النَّذْرُ سبِيلًا فِي حَصْوَلِ مَطْلَبِهِمْ ، وَذَلِكَ
 أَنَّ النَّاذِرَ إِذَا قَالَ: اللَّهُ عَلَيَّ إِنْ حَفَظْنِي اللَّهُ الْقُرْآنُ أَنْ
 أَصُومَ مُثْلًا ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، أَوْ إِنْ عَافَانِي اللَّهُ مِنْ هَذَا

(٤٤) هو من رواية أبي هريرة المتقدمة ، ولفظه: «ولكن يلقيه النذر إلى
 القدر قد قدر له» .

(٤٥) أخرجه البخاري (١١: ٥٨١) .

المرض ، أو إن دفع الله هذا العدو ، أو إن قضى عني هذا الدين فعلت كذا ، فقد جعل العبادة التي التزمها عوضاً عن ذلك المطلوب والله سبحانه لا يقضى تلك الحاجة بمجرد تلك العبادة المنذورة بل ينعم على عبده بذلك المطلوب ليبيتليه أيسكر أم يكفر ، وشكره يكون بفعل ما أمره به وترك ما نهاه عنه .

وأما تلك العبادة المنذورة فلا تقوم بشكر تلك النعمة ولا بنعم الله ، تلك النعمة ليعبده العبد تلك العبادة المنذورة التي كانت مستحبة فصارت واجبة ، لأنه سبحانه لم يوجب تلك العبادة ابتداءً بل هو يرضى من العبد بأن يؤدي الفرائض ويتجنب المحaram ، لكن هذا النازر يكون قد ضيَّعَ كثيراً من حقوق الله ثم بذل ذلك النذر لأجل تلك النعمة ، وتلك النعمة أجل من أن ينعم الله بها لمجرد ذلك المنذور المحتقر ، وإن كان المبذول كثيراً والعبد مطيع لله فهو أكرم على الله من أن يحوجه إلى ذلك المبذول الكثير فليس النذر سبيلاً لحصول مطلوبه كالدعاء فإن الدعاء من أعظم

الأسباب ، وكذلك الصدقة وغيرها من العبادات جعلها الله تعالى أسباباً لحصول الخير ودفع الشر إذا فعلها العبد ابتداءً ، وأما ما يفعله على وجه النذر فإنه لا يجلب منفعة ولا يدفع عنه مضره ، لكنه كان بخيلاً فلما نذر لزمه ذلك ، فالله تعالى يستخرج بالنذر من البخيل فيعطي على النذر ما لم يكن يعطيه بدونه ، والله أعلم .

* * *

تمت والحمد لله وحده . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسلیماً ، وذلك نهار الثلاثاء آخر شهر صفر من سنة تسع وأربعين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل .